الروائي الروسي ألكسندر سولجنيتسين
(11 ديسمبر 1918 – 3 أغسطس 2008)

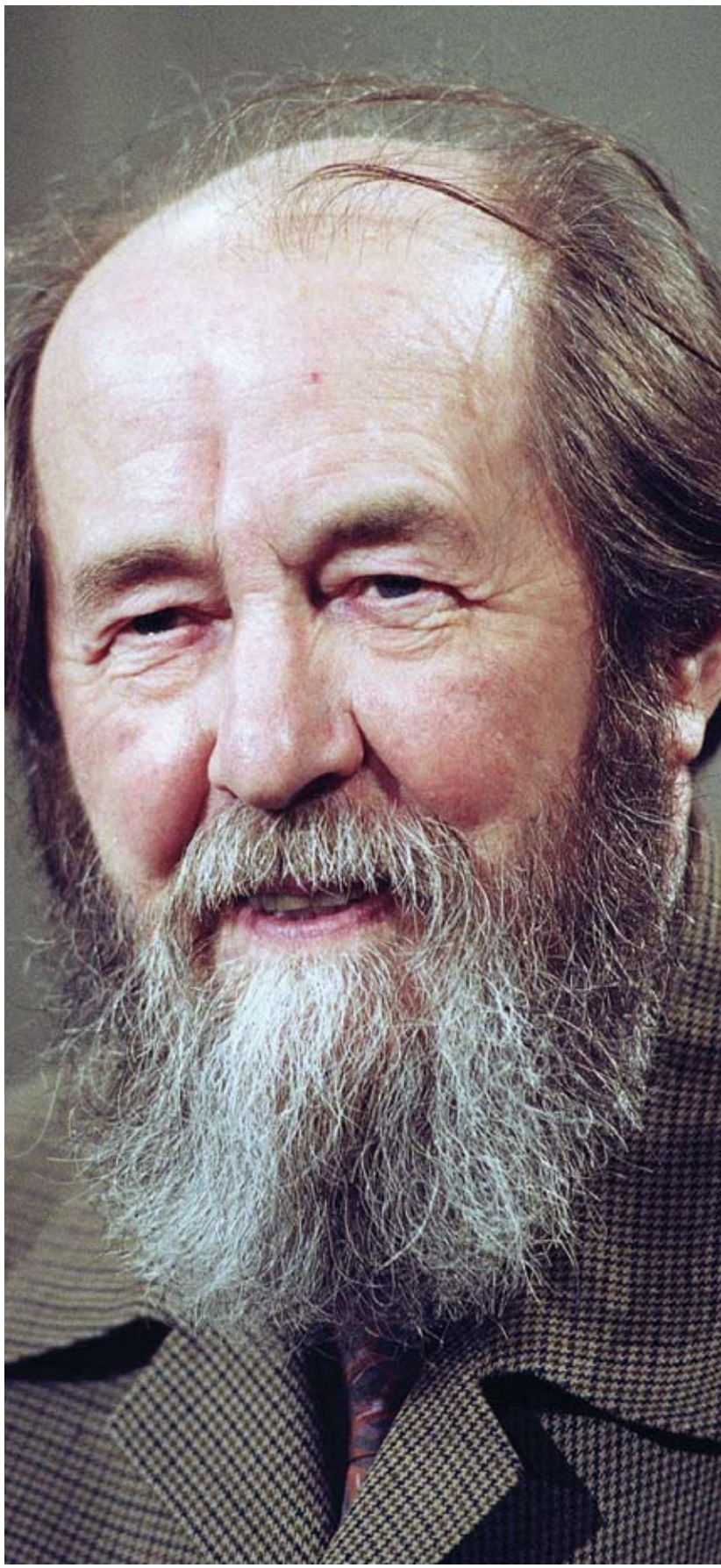

ألكسندر سولجنيتسين Aleksandr Solzhenitsyn كان روائيًا وفيلسوفًا ومؤرخًا وكاتب قصة قصيرة وسجينًا سياسيًا روسيًا. وواحد من الأكثر شهرة المنشقين السوفييت، كان سولجينتسين أحد منتقدي الشيوعية، وساعد على زيادة الوعي العالمي لانتهاكات حقوق الإنسان، ومعسكرات العمل معسكر اعتقال النظام والقمع السياسي في الاتحاد السوفياتي.

أديب ومعارض روسي أحد عمالقة الأدب الروسي، كان روائيًا روسيًا سوفيتيًا، وكاتبًا مسرحيًا ومؤرخًا. من خلال كتاباته جعل الناس يحذرون من (الغولاغ)، معسكرات الاتحاد السوفيتي للعمل القسري - خاصةً في روايتيه (أرخبيل غولاغ) و(يوم في حياة إيفان دينيسوفيتش) وهو العمل الوحيد الذي سُمح له بنشره في الاتحاد السوفيتي (1962). وتعدان من أشهر أعماله.

القيمة الأدبية والسياسية

لدى تقييم أعمال ألكسندر سولجنيتسين نجد أنه من الصعوبة، الفصل بين الأدب والسياسة في هذه الأعمال. فقد انطلق الكاتب الراحل إلى العالمية بفضل المؤلفات التي أزاحت الستار عن معسكرات الاعتقال والعمل الإجباري تحت جهاز «الغولاغ» ـ الإدارة العليا لمعسكرات العمل الإصلاحية ـ التي كان يزجّ بالمنشقين السياسيين فيها، ولا سيما كل من يعترض على ممارسات الزعيم الشيوعي السابق جوزيف ستالين. وكان الكتاب الأبرز في هذا الموضوع «أرخبيل الغولاغ» الذي نشر عام 1973 أي بعد ثلاث سنوات من منحه جائزة نوبل للآداب، وقد سبقته روايات مهمة في الاتجاه نفسه بدأت مع نشر «يوم من حياة إيفان دينيسوفيتش» حول حياة مواطن عادي معتقل في معسكرات «الغولاغ»، نشرت في المجلة الادبية «نوفي مير»، في 18 نوفمبر/ تشرين الثاني 1962 إبان عهد الزعيم الشيوعي نيكيتا خروتشوف، الذي قاد انقلابًا حقيقيًا على تركة ستالين. وواصل سولجنيتسين حملته ضد استمرار وجود معسكرات الاعتقال. وكتب روايتيه التاليتين «جناح السرطان» و«الدائرة الأولى» اللتين لم توزعا إلا عبر الشبكة السرية التي كانت تروّج في الخارج لإعمال المنشقين السوفيات. ولكن ضمن أجواء «الحرب الباردة» حققت الروايتان نجاحًا كبيرًا، وهكذا صار سولجنيتسين علمًا من أعلام الأدب في عيون الإعلام الغربي، وهو ما أهله عام 1970، بعد مرور سنتين من قمع «ربيع براغ» عام 1968 في تشيكوسلوفاكيا السابقة، للفوز بجائزة نوبل للآداب. ويومذاك أدى التأييد الرسمي والشعبي في الغرب لهذا الفوز، إلى عدول سولجنيتسين عن الذهاب الى السويد لتسلم الجائزة، خشية إقدام الكرملين في عهد ليونيد بريجنيف على منعه من العودة. غير أنه وفي ضوء تصلب سولجنيتسين في مواقفه المناوئة للسلطات ونشره «أرخبيل الغولاغ» في العاصمة الفرنسية باريس، وسط أصداء ترحيبية مدوية في الغرب، قرر الكرملين إبعاده إلى الخارج. وبالفعل غادر الاتحاد السوفياتي أولاً إلى سويسرا، ثم انتقل إلى الولايات المتحدة ليقيم لفترة في ولاية فيرمونت الريفية الصغيرة.

نهاية «شهر العسل» مع الغرب

في هذه المرحلة انتهى «شهر العسل» بين سولجنيتسين والرأي العام الغربي. فقد صدم الأديب الروسي التقليدي المحافظ المتشدد في «قوميته السلافية» ومسيحيته الأرثوذكسية، بليبرالية الغرب وماديته الاستهلاكية، وصدم صانعو الرأي العام في الغرب، ولا سيما المؤسسات الإعلامية الكبرى ودوائر المثقفين، وكذلك جماعات الضغط اليهودية، التي كانت في طليعة مناوئي موسكو في هذه الحقبة، بشخصية من صورته سابقًا على أنه «بطل لليبرالية» في وجه الطغيان الشيوعي الشمولي. وبالتالي كان من الطبيعي عام 1994، بعد خمس سنوات من سقوط «جدار برلين» وثلاث من انهيار الدولة السوفياتية أن يعود سولجنيتسين إلى روسيا الجديدة، مع أنه وجد صعوبة في التأقلم مع الواقع الجديد لحقبة ما بعد الشيوعية، وأبدى إعجابًا مبكرًا بالزعيم الروسي فلاديمير بوتين. ومع أن الحكومة الروسية كرّمت سولجنيتسين عام 2007 بمنحه أرفع أوسمتها، وهو «جائزة الدولة الروسية»، واعتبره كثيرون أديبًا وكاتبًا عالميًا عظيمًا، فإنه بقي وموهبته الادبية عرضة لآراء

متباينة، منها رأي الكاتب الروسي المنشق سابقاً فلاديمير فوينوفيتش، الذي يعتبر أن نبوغ سولجنيتسين «المزعوم مجرد وهم».

سيرة شخصية

ولد ألكسندر سولجنيتسين يوم 11 ديسمبر/كانون الأول 1918 في بلدة كيسلوفودسك شمال القوقاز، واعتنق في سنوات فتوته، المثل الثورية للنظام الشيوعي الناشئ ودرس الرياضيات. ـ حارب ضد القوات الألمانية التي هاجمت روسيا عام 1941. ـ حكم عليه عام 1945 بالحبس لمدة ثماني سنوات في معسكر اعتقال وعمل إصلاحي، بعد انتقاده كفاءة ستالين الحربية في رسالة إلى أحد اصدقائه. وطبعت هذه التجربة سيرة حياته حتى النهاية. ـ أفرج عنه في 1953 قبل بضعة أسابيع من وفاة ستالين، ونفي إلى آسيا الوسطى، حيث بدأ الكتابة، ثم عاد إلى الجزء الأوروبي من روسيا ليعمل مدرّسًا في ريازان (على بعد مائتي كيلومتر من موسكو).

يقول ألكسندر سولجنيتسين في سيرته الذاتية: «في عام 1941، قبل أيام قليلة من اندلاع الحرب، تخرجت من قسم الفيزياء والرياضيات في جامعة روستوف. في بداية الحرب، وبسبب ضعف صحتي، تم تصنيفي في العمل كسائق لمركبات تجرها الخيول خلال شتاء 1941-1942. في وقت لاحق، بسبب معرفتي الرياضية، تم نقلي إلى مدرسة مدفعية، وبعد دورة مكثفة، بعد ذلك مباشرة تم تعييني في القيادة لتحديد مواقع المدفعية، وفي هذه الفترة، خدمت دون انقطاع في الخطوط الأمامية مباشرة حتى تم اعتقالي في فبراير 1945. حدث هذا في شرق بروسيا، وهي منطقة مرتبطة بمصيري بطريقة رائعة. في وقت مبكر من عام 1937، كطالب في السنة الأولى، اخترت كتابة مقال وصفي عن "كارثة سامسونوف" عام 1914 في شرق بروسيا ودرست مادة حول هذا الموضوع. وفي عام 1945 ذهبت بنفسي إلى هذه المنطقة (وقت كتابة هذا الكتاب، خريف 1970، الكتاب أغسطس 1914 قد اكتمل للتو).

تم اعتقالي على أساس ما وجدته الرقابة خلال الأعوام 1944-1945 في مراسلاتي مع صديق في المدرسة، ويرجع ذلك أساسًا إلى بعض الملاحظات ضد ستالين، على الرغم من أننا أشرنا إليه بعبارات مقنعة. كأساس إضافي لـ "التهمة"، تم استخدام مسودات القصص والأفكار التي تم العثور عليها في حقيبتي الخاصة بي. ومع ذلك، لم تكن هذه كافية "للمحاكمة"، وفي يوليو 1945 "حُكم علي" في غيابي، وفقًا للإجراء الذي تم تطبيقه بشكل متكرر، بعد قرار من OSO (اللجنة الخاصة لـ NKVD)، إلى ثماني سنوات في معسكر اعتقال (في ذلك الوقت كان هذا يعتبر عقوبة مخففة).

خدمت هذا المنفى من مارس 1953 (في الخامس من مارس، عندما تم الإعلان عن وفاة ستالين، سُمح لي لأول مرة بالخروج بدون مرافقة) حتى يونيو 1956. هنا تطور معي مرض السرطان بسرعة، وفي نهاية عام 1953، كنت على وشك الموت. لم أستطع الأكل، ولم أستطع النوم وتأثرت بشدة بالسموم من الورم. ومع ذلك، تمكنت من الذهاب إلى عيادة السرطان في طشقند، حيث شفيت خلال عام 1954. خلال كل سنوات المنفى، قمت بتدريس الرياضيات والفيزياء في مدرسة ابتدائية وخلال وجودي القاسي والوحيدة كتبت نثرًا سرًا (في المخيم، لم يكن بإمكاني كتابة الشعر إلا من الذاكرة). ومع ذلك، تمكنت من الاحتفاظ بما كتبته، وأخذها معي إلى الجزء الأوروبي من البلد، حيث واصلت، بنفس الطريقة، فيما يتعلق بالعالم الخارجي، أن أشغل نفسي بالتدريس وأن أكرس نفسي سرًا للكتابة في البداية في منطقة فلاديمير (مزرعة ماتريونا) وبعد ذلك في ريازان.

خلال كل السنوات حتى عام 1961، لم أكن مقتنعًا فقط بأنه لا ينبغي أن أرى سطرًا واحدًا مكتوبًا مطلقًا في حياتي، ولكن أيضًا، نادرًا ما أجرؤ على السماح لأي من معارفي المقربين بقراءة أي شيء كتبته لأنني كنت أخشى أن هذا سيصبح معروفًا. أخيرًا، في سن 42، بدأ هذا التأليف السري يرهقني. أصعب شيء على الإطلاق هو أنني لم أتمكن من الحكم على أعمالي من قبل أشخاص ذوي تدريب أدبي. في عام 1961، بعد المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي وخطاب تفاردوفسكي في هذا، قررت أن أخرج وأعرض "يوم واحد في حياة إيفان دينيسوفيتش".

بدا مثل هذا الظهور، إذن، بالنسبة لي، وليس بدون سبب، محفوفًا بالمخاطر للغاية لأنه قد يؤدي إلى فقدان مخطوطاتي، وتدمير نفسي. ولكن، في تلك المناسبة، سارت الأمور بنجاح، وبعد جهود مطولة، تمكنت دار النشر AT Tvardovsky من طباعة روايتي بعد عام واحد. ومع ذلك، توقفت طباعة عملي على الفور تقريبًا وأوقفت السلطات مسرحياتي وكذلك (في عام 1964) رواية الدائرة الأولى، التي تم مصادرتها في عام 1965 مع أوراقي من السنوات الماضية. خلال هذه الأشهر بدا لي أنني ارتكبت خطأ لا يغتفر من خلال الكشف عن عملي قبل الأوان، ولهذا السبب لا ينبغي أن أكون قادرًا على استكماله.

يكاد يكون من المستحيل دائمًا تقييم الأحداث التي مررت بها بالفعل في ذلك الوقت، وفهم معناها بتوجيه من آثارها. سيكون مسار الأحداث المستقبلية أكثر صعوبة في التنبؤ به ومدهشًا لنا».

نقاط مهمة في حياة ألكسندر سولجنيتسين:

ـ نشرت عام 1962 روايته «يوم من حياة إيفان دينيسوفيتش» في المجلة الأدبية «نوفي مير» 1962 بموافقة من الزعيم الشيوعي الجديد نيكيتا خروتشوف.

ـ عام 1964 منعت أعماله في بداية عهد ليونيد بريجنيف.

ـ عام 1968 نشرت روايتاه «جناح السرطان» و«الدائرة الأولى» خفية في باريس.

ـ منح جائزة نوبل للآداب عام 1970.

ـ عام 1973 نشر كتابه الأشهر «أرخبيل الغولاغ» لأول مرة.

ـ عام 1974 نفي إلى ألمانيا الغربية ومنها إلى سويسرا حيث عاش لبعض الوقت، ثم غادر ليعيش في الولايات المتحدة. ـ عام 1994 عاد إلى روسيا، ليستقر نهائيًا.

- عام 1990، قبل وقت قصير من تفكك الاتحاد السوفيتي تم استعادة جنسيته، وبعد أربع سنوات عاد إلى روسيا، حيث بقي حتى وفاته عام 2008.

وبعد ذلك ظهر في العديد من المناسبات العامة وحتى التقى على انفراد بالرئيس الروسي بوريس يلتسين.

- في عام 1997 أنشأ جائزة Solzhenitsyn وهي جائزة سنوية للكتّاب الذين يساهمون في التقاليد الأدبية الروسية.

ـ عام 2007 منحه الرئيس فلاديمير بوتين «جائزة الدولة الروسية».

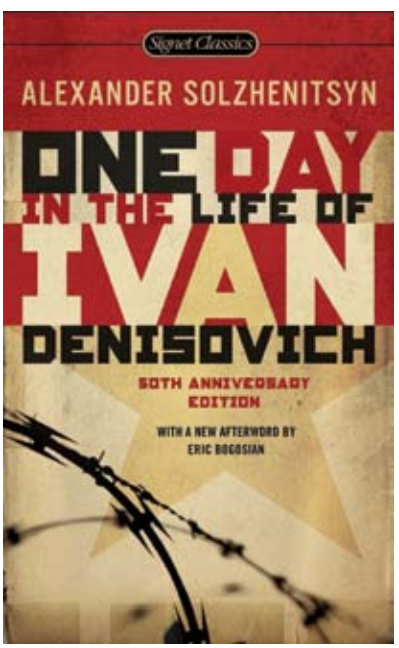

يوم من حياة إيفان دينيسوفيتش

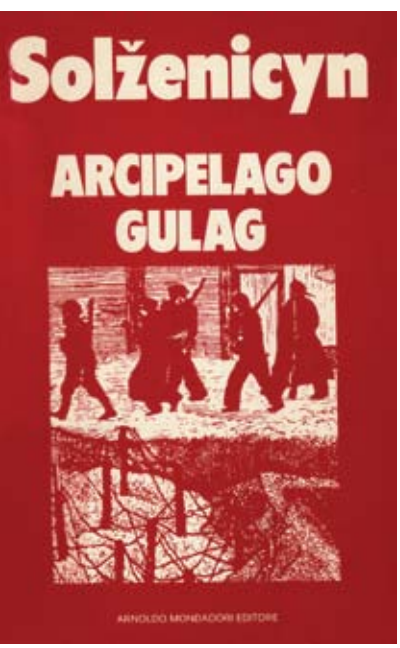

أرخبيل الغولاغ